خلق النبيِّ ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله أرسل مُحَمّداً ﷺ رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فهو رحمةٌ للإنس، والجن، مؤمِنِهم وكافِرِهم؛ يدعوهم إلى الله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى له: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[2]، وقال تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[3]، فهو ﷺ رحمةٌ للعالمين وحجةٌ على خلقه أجمعين، وهو مِنّةٌ من الله تعالى على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[4]، وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبيِّ ﷺ وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس إنَّ ربَّكُم واحد، وإنَّ أباكم واحد، أَلاَ لاَ فَضْلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربي، ولا لأحمرَ على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتّقوى**»[5]. وهذا فيه الدلالةُ الواضحةُ على أنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى، فكلما كان الإنسان لله أتقى فهو أفضل، من أي الأجناس أو الألوان كان.

وقد مَنَّ الله تعالى على هذا النبي الكريم بمكارم الأخلاق كلِّها؛ فإنه لا يُحصى من دخل في الإسلام بسبب خُلُقه الكريم ﷺ سواء كان ذلك الخُلُق الحسن الكريم: من جوده، أو كرمِهِ، أو عفوهِ، أو صفحِهِ، أو حلمِهِ، أو أناتِهِ، أو رفقِهِ، أو صبرِهِ، أو تواضُعِهِ، أو عدلِهِ، أو رحمتِهِ، أو منِّهِ، أو شجاعته وقوَّتِهِ، أو غير ذلك من مكارم الأخلاق.

ومن تتبَّع سيرةَ النبيِّ ﷺ وجد أنه كان يلازم الخُلُق الحسن في سائر أحواله، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً، بفضل الله ثم بفضل حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ، فكم دخل في الإسلام بسبب حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ.

فهذا ثُمامةُ بن أُثال يُسلِمُ بسبب عفو النَّبيِّ ﷺ، ويقول: (والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهِكَ، فقد أصبح وجهُك أحب الوجوهِ كلِّها إليّ، واللهِ ما كانَ على وجه الأرض دينٌ أبغضَ إليّ من دينِك،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٥٨.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٥) مسند أحمد بترتيب البناء، ١٢/ ٢٢٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/ ٢٦٦: ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)).

وقد أصبحَ دينُك أحبّ الأديانِ كلِّها إليّ، والله ما كان على وجه الأرض بلادٌ أبغض إليَّ من بلادك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلِّها إليّ)[1].

وهذا أعرابي يقول: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً؛ لأنه تأثر بعفو النبيِّ ﷺ عندما بال هذا الأعرابي في المسجد، ولم يتركه على تحجيرهِ رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ بل قال له ناصحاً ومُعلّماً ﷺ : «**لقد حجَّرتَ واسعاً**»[2].

وذاك معاوية بن الحكم يرفق به النبيُّ ﷺ في تعليمه، فيقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيتُ مُعلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، والله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني)[3]، وأعطى ﷺ رجلاً غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا؛ فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)[4].

وهذا صفوان ابن أمية من صناديد قريش الكفرة يعطيه النبي ﷺ مائة من الغنم ثم مائة، ثم مائة، فيقول صفوان: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما بَرِحَ يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ). وهذا سببُ إسلامِ صفوان[5].

ومُشركٌ كافرٌ آخرُ يُريدُ قتل النبيِّ ﷺ بالسيف فيعصم الله رسوله ﷺ منه ويعفو عنه النبي ﷺ[6]. فيرجع إلى قومه ويُسلم، ويدعوهم إلى الإسلام فأسلم من قومه على يديه خَلْقٌ كثير[7].

وهذا عبد الله بن سلام اليهودي الحبر العالم من علماء اليهود يأتي إلى النبي ﷺ عند قدومه إلى المدينة يقول عبد الله ﷺ : فجئتُ في الناس، لأنظر، فلما تبيّنتُ وجهَهُ عَرفْتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أوّل شيء سمعته يقول: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعِمُوا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلّوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**»[8].

وهذا زيد بن سعية اليهودي يختبر النبي ﷺ فيعفو عنه النبي ﷺ ويأمر عمر أن يعطيه عطاءً، فيقول زيد اليهودي الحبر: ما من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمُهُ جهلَه، ولا تزيده شدَّةُ الجهلِ إلا حلماً، وقد اختبرتُهما فأشهدك يا عمرَ أني قد رضيتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيّاً، وأشهدك أنّ شطر مالي صدقة على أمة محمدٍ ﷺ[9].

وهذا يهودي آخر يقول عند الموت: والذي أنزل التوراة إنّا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا

(١) البخاري، برقم ٤٣٧٢، ومسلم ١٧٦٤ .
(٢) البخاري، برقم ٦٠١٠ .
(٣) مسلم، برقم ٥٣٧ .
(٤) مسلم، برقم ٢٣١٢ .
(٥) مسلم، برقم ٢٣١٣ .
(٦) البخاري مع الفتح، ٦/ ٩٦، ٩٧، برقم ٢٩١٠، ومسلم، ٤/ ١٧٨٦، برقم ٨٤٣ .
(٧) فتح الباري لابن حجر، ٧/ ٤٢٨، وشرح النووي، ١٥/ ٤٤ .
(٨) الترمذي، برقم ٢٤٨٥، وابن ماجه، برقم ٣٢٥١، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٣.
(٩) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ١/ ٥٦٦ .

إله إلا الله وأنّك رسول الله[1].

وهذا مَلِكُ النصارى النجاشي في الحبشة عندما سمع دعوة النبي ﷺ وقوله: إن عيسى عبد الله ورسوله فقال لوفد النبيِّ ﷺ: مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسولُ الله، وأنه الذي بشّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الـمُلْكِ لأتيتُه حتى أُقَبِّلَ نَعْلَهُ[2].

وهذا هرقلُ عظيم الروم النصراني، يقول لأبي سفيان حينما قال له: إن النبي ﷺ لا يغدر، وأنه يأمر بعبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وينهى عن عبادة الأوثان، ويأمر بالصلاة، والصدق، والعفاف، قال هرقل لأبي سفيان: فإن كان ما تقولُ حقّاً فَسَيَمْلِكُ موضعَ قدميَّ هاتين، وقد كُنتُ أعلمُ أنه خارجٌ لم أكن أظنُّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلصُ إليه لتجشّمتُ لقاءَهُ، ولو كُنتُ عنده لغسّلتُ عن قدمه[3].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] وصدق النبي الكريم إذ يقول: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق**»[5].

وسُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُق النبيِّ ﷺ ؟ فقالت: (**فإن خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآنُ**)[6].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[7] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أحمد، ٥/ ٤١١، وقوّاه ابن كثير في تفسيره، ٢/ ٢٥٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١/ ٤٣٨ .
(٣) البخاري، برقم ٧ .
(٤) سورة القلم، الآية: ٤ .
(٥) البيهقي، ١٠/ ١٩٢، وأحمد، ٢/ ٣٨١، وانظر: الصحيحة للألباني برقم ٤٥ .
(٦) مسلم، برقم ٧٤٦ .
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله!اتقوا الله تعالى، واقتدوا بنبيكم الكريم الرحيم، فإن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(١)، وعن أبي هريرة ﷺ ، قال: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث لعّاناً وإنما بُعثت رحمة**»(٢). وفي حديث حذيفة ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيُّما رجل من أمتي سببته سبةً أو لعنته لعنةً في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاةً يوم القيامة**»(٣).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ ، أنه قال: «**إنما أنا رحمة مهداةٌ**»(٤).

وقد قال ﷺ : «**أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»(٥).

عباد الله! إن العبد المسلم مأمور بالاقتداء بهذا الرسول الرحيم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾(٦)، هذا وصلوا على الرحمة المهداة كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٧)، وقال النبي ﷺ : «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»(٨)، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(٩)، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾(١٠)، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾(١١).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .
(٢) مسلم، برقم ٢٥٩٩.
(٣) أبو داود، برقم ٤٦٥٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/ ١٣٤ .
(٤) رواه ابن سعد، ١/ ١٩٢، وابن أبي شيبة ١١/ ٥٠٤، والحاكم، ١/ ٣٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم ٤٩٠.
(٥) مسلم، برقم ٢٣٥٥ .
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٨) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٩) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(١٠) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(١١) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.